المنهج الدعوي في تفسير قصص القرآن حديثا

د. عفاف عبد الغفور حميد*

تمهيـــد: أهمية القصص القرآني[١]

إن استيعاب القصة القرآنية حيزاً من القرآن الكريم يقرب من الثلث هو دليل على إلوهية ذلك الكتاب ومصدريته من خالق الأنفس والعالم بها، فهو تعالى يعلم ما للقصة من الأهمية والتأثير في نفوس البشر.

لقد عرف منذ الأزل أهمية القصة للإنسان وحبه لها، وما لها من تأثير وسحر يملك النفوس، حيث يتابع خيال قارئ القصة أو سامعها الأحداث ومواقفها، مع المشاركة الوجدانية لشخصيات القصة وما تثيره تلك المشاركة في النفس من مشاعر حتى يتخيل الإنسان أنه يعيش الحوادث بأنواعها مع أنه بعيد عنها!

ويبقى تأثير القصة وسحرها على البشرية مستمراً لأنها أقرب الفنون الأدبية إلى التعبير عن الحياة والإنسان وأقدرها على تغييره إلى نحوما، بما تكشف من جوانب خفية فيه، وذلك لأن القارئ أو السامع للقصة لابد أن يتخذ موقفاً ولن يبقى حيادياً من شخوصها وحوادثها، بل يعجب أو يستنكر أو يوافق ومن ثم يتأثر سلوكه وما فيه من طباع.

ولما كان الإسلام الحنيف هو دين الفطرة وهو الدعوة العالمية الكبرى التي بعث بها الرسول ﷺ فالإسلام يحتاج إلى دعاة يحسنون عرض أفكاره ومبادئه بأسلوب جذاب، فالداعية يستطيع أن يركز جهده عند مخاطبة الآخرين فينفذ كلامه إلى قلوب الناس مستخدماً تلك القصص محسناً في استخدام مواقف القصة في الدعوة.

---

[١] جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا KUIM، كلية دراسات القرآن والسنة

وقد كانت القصة أسلوباً من أساليب القرآن في عرض الحقائق والمعاني، فالله تعالى يعرضها عرضاً عملياً محسوساً لا نظرياً مجرداً في صورة حية تمشي على الأرض وتؤثر في الناس، ومن هنا جاءت قصص القرآن متنوعة للأنبياء، ولحوادث وشخصيات غير الأنبياء، وقصص وقعت في زمن الرسول ﷺ حيث بلغت أكثر من ربع القرآن وقرابة ثمانية أجزاء.[1] ولهذه القصص أهداف وغايات وحكم كثيرة ومتعددة، منها:

– العبرة والموعظة من الصراع بين الحق والباطل، وبين الأنبياء وأتباعم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ يوسف:١١١، وكان لتلك القصص فائدة في تثبيت الرسول ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ هود: ١٢٠

– تعميق الإيمان والعقيدة في النفوس وتبصير العقول، فقد سلكت القصص أحسن الطرق في إمتاع العاطفة وإقناع العقل بأسس هذه العقيدة وهي الإلوهية والرسالة واليوم الآخر ...

– بيان سنن الله في خلقه من الأمم والجماعات والأفراد، وهي سنن جرت على الماضين وتجري على اللاحقين ليعتبرها المؤمنون[2]، ببيان أسباب الهلاك التي يمكن أن تصيب الأمم كالبطر والطغيان والاستعباد.

– بيان مناهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى والتزامهم بها وصبرهم عليها، والتأسي بهم فيها، قال تعالى مخاطبا نبيه محمدا ﷺ وأمته تبعا له: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ الأنعام: ١٩.

– تقديم نماذج للمؤمنين الصابرين الثابتين على الحق وبيان سلوكهم مع الكفرة المجرمين، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ البروج:٨

وقد أدت هذه القصص الغرض المطلوب والمهمة المنشودة منها في العصور الأولى، ولكن الغفلة عن القرآن وتدبره والاتعاظ به قد شمل هذا الجانب الكبير من القرآن في فترات كثيرة ولشرائح كبيرة.

ومما يميز القصة القرآنية عن غيرها من القصص الأدبية في القديم والحديث، والذي يجعل لها كل هذه الأهمية أن القصص الأدبية تقوم على الخيال الذي لا حقيقة له، بل أن بعضه يقوم

[1] راجع فضل عباس، **قصص القرآن**، ص ٥.

[2] راجع: عبد الكريم زيدان، **المستفاد من ققصص القرآن للدعوة والدعاة، المقدمة**، وفضل حسن عباس، **قصص القرآن**،ص١.

على تشويه الحقائق، أو يخرج عن القيم والمثل، بينما القصة القرآنية تقوم على الحقائق الصادقة والعلمية، كما تتميز عن القصص في الكتب السماوية الأخرى التي شوهت فأصبح فيها ما لا يليق بجلال الله ولا أنبيائه.

منهج القدماء في عرض القصص القرآني:

يأتي ذكر قصص الأنبياء قديماً بثلاثة طرق:

١- كتب التفسير: وهي تتناول قصص القرآن في مواضعه من السور بحسب سياقها، ومتفاوتة بحسب منهج كل مفسر وطبيعة كل كتاب إيجازاً وتفصيلاً، بأن يشرح كل آية بطريقته وما درج عليه في بقية التفسير سواء أكان مأثوراً أو بالرأي، عاماً أو خاصاً (لغوياً أو بلاغياً أو فقهياً أو غير ذلك) وهو في الغالب يعتمد على ذكر الروايات الخاصة بتلك القصة، وقد يستشهد المفسر بالآيات المكررة في السور الأخرى، أي تفسير القرآن بالقرآن، أما الروايات فغالبية كتب التفسير القديمة تتضمن الروايات الاسرائيلية، مع تفاوت فيما بينها في الكثرة والقلة، فهناك تفاسير اعتمدت في هذا الجانب على الإسرائيليات، وهناك المقلة. وهذه الإسرائيليات قد تذكر ما لا يليق بالأنبياء. يقول العلامة أبو شهبة رحمه الله: "وقد جاء في كتب التفسير على اختلاف مناهجها إسرائيليات كواذب ومرويات بواطل، لا يحصيها العد وذلك فيما يتعلق بقصص الأنبياء والمرسلين والأمم والأقوام السابقين، وقد رويت عن الصحابة والتابعين وتابعيهم وورد بعضها مرفوعا إلى النبي ﷺ كذباً وزوراً. وهذه المرويات لا تمت إلى الإسلام، وإنما هي من خرافات بني إسرائيل وأكاذيبهم وافتراءاتهم على الله وعلى رسوله"[١].

٢- كتب التاريخ، فقد ذكرت قصص الأنبياء لأنها تمثل جزءاً كبيراً من تاريخ البشرية، وهي تعتمد السرد التاريخي كالحوادث، وتعتمد على الروايات ومنها الإسرائيليات كذلك، منها تاريخ الطبري، والبداية والنهاية لابن كثير.

٣- كتب السيرة وهي التي اهتمت بتفاصيل سيرة الرسول ﷺ منذ ولادته إلى وفاته، ثم حياة الصحابة، وهي تعتمد على الروايات التي تتضمن الصحيح والحسن والضعيف.

[١] أبو شهبة، **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، ص ٢٤٩-٢٥٠.

المحور الأول
التفسير الموضوعي لقصص القرآن حديثاً

عرّف التفسير الموضوعي بعد أن أصبح عَلَماً على لون من ألوان التفسير بتعاريف منها: "هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً أو حكماً وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية". وقيل: "هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع"[1].

ولم يظهر هذا المصطلح (التفسير الموضوعي) إلا في القرن الرابع عشر الهجري، عند ما قُررت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، إلا أن لبنات هذا التفسير وعناصره الأولى كانت موجودة منذ عصر التنزيل في حياة الرسولﷺ.

فإن تتبع الآيات التي تناولت قضية ما والجمع بين دلالاتها وتفسير بعضها لبعض، مما أطلق عليه العلماء فيما بعد بتفسير القرآن بالقرآن، كان معروفاً في الصدر الأول، وقد لجأ رسول الله ﷺ إليه عندما سُئل عن تفسير بعض الآيات الكريمة[2].

والأمثلة على ما ذكره من تفسير الرسول ﷺ للقرآن بالقرآن كثيرة، منها تفسيره للظلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ الأنعام: ٨٢. حين شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: "إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣.

وقد لجأ الصحابة ﷺ إلى ذلك من الجمع بين الآيات التي يظن بها بعضهم التعارض[3].

---

[1] زاهر عواض، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، ص ٢٠، و**دراسات في التفسير الموضوعي**، ص ٧. نقلا عن مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، ص ١٦.

[2] مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير لموضوعي**، ص١٧.

[3] ومن الأمثلة ما رواه البخاري عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما إني لأجد في القرآن أشياء تختلف علي، قال: ﴿فلا أنساب بينهم ولا يتسائلون﴾ ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون﴾ و﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾ ﴿والله ربنا ما كنا مشركين" فقد كتموا في هذه الآية، وقال تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها﴾- إلى قوله ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ فذكر خلق السماء قبل الأرض، ثم قال تعالى: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء ... وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحى الأرض، ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله تعالى دحاها" راجع: **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، ٣٦/٦.

وقد وضع العلماء قاعدة في أصول التفسير بضرورة العودة إلى القرآن الكريم لمعرفة تفسير آية ما، كما قال ابن تيمية:" إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر"[1].

وقد جمع الفقهاء الآيات الخاصة بموضوع واحد في كتبهم الفقهية فجمعوا ما يتعلق بالوضوء والتيمم تحت كتاب الطهارة، وما يتعلق بالصلاة تحت كتاب الصلاة وهكذا فكان ذلك تفسيراً موضوعياً في خطوته الأولى.

ثم أخذت هذه الدراسات الموضوعية الاتجاه اللغوي وذلك بتتبع اللفظة القرآنية ومحاولة معرفة دلالاتها المختلفة مثل "الأشباه والنظائر" لمقاتل بن سليمان البلخي المتوفي سنة ١٥٠هـ، و" التصاريف" ليحي بن سلام (ت٢٠٠هـ)، ثم جاءت مؤلفات مخصوصة في علوم القرآن مثل الناسخ والمنسوخ وأحكام القرآن، وتأويل مشكل القرآن.

ولكن لم نرَ مؤلفاً يجمع ما جاء في قصص القرآن في العصور الأولى على أنه تفسير عدا ما جاء في كتب التاريخ والسير.

وفي العصر الحديث تميزت ملامح هذا المنهج وصدرت مؤلفات كثيرة في هذا النوع من التفسير، منها: الأخلاق في القرآن، والمرأة في القرآن، واليهود في القرآن والصبر ... إلخ.

ومن بين تلك المؤلفات في القصص القرآني ظهرت مؤلفات كثيرة يمكن أن نصنفها من حيث شمولها أو اختصاصها إلى:

أولاً- قصص تناول كل ما ورد في القرآن من قصص الأنبياء وغيرهم وما جاء عن الحوادث التي جرت في عهد الرسول ﷺ سواء ما يخصه أو صحابته ومن كان في المجتمع آنذاك، ومن أمثلة هؤلاء محمد أحمد جاد المولى مؤلف " قصص القرآن"، وبعضهم يتناولها حسب التسلسل التاريخي، ومنهم من يبدأ بالأنبياء.

ثانياً- قصص الأنبياء فقط في القرآن الكريم مثل: قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار، وعفيف طبارة، وسميح عاطف الزين.

ثالثاً- قصص بعض الأنبياء مثل قصص أولي العزم من الرسل أو قصة أحد الأنبياء، أو أي قصة قرآنية فيتناولها بشكل مفصل.

[1] ابن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير**، تحقيق عدنان زرزور ص ٩٣.

رابعاً- قصص الماضين من غير الرسل مثل قصص الأصحاب (أصحاب الكهف، أصحاب الأخدود، أصحاب الفيل ...) أو مع السابقين في القرآن.

وفي العصر الحاضر تمّ نشر هذه القصص بوسائل غير الكتابة تشمل:

أ- الكتب وهي تشمل ما ذكرنا في الفقرة السابقة، وهذه للكبار، وقد كتب بعضهم هذه القصص لغير الكبار بما يتناسب مع أعمارهم ومداركهم فهناك ما هو خاص للناشئين، ومنها ما هو للصغار، ومن أمثلتها سلسلة قصص القرآن للأطفال نشر دار الصحابة، وسلسلة أحسن القصص وما كتبته الكاتبة حنان لحام وتدعم الكتب أحياناً بالصورالملونة.

ب- السمعيات وتشمل الكاسيت والاسطوانات والمحاضرات بأشرطة الفيديو، وهناك الكثير من الدعاة من يفضل هذه الوسائل وخصوصاً للصغار، وهناك شركات معروفة لإنتاجها مع سهولة الوصول إليها عن طريق الأنترنيت.

ج- البصريات وهي أفلام فيديو أو إسطوانات وغالباً ما تكون أفلام كارتون للأطفال دون أن تشخص فيها أدوار الأنبياء مثل قصص القرآن للبراعم لمحمد موفق سليمة.

ولكلا الطريقتين هناك شركات كثيرة منها: شركة حرف، ومكة للبرمجيات، وبكة سوفت، وشركة سابا الماليزية، وشركة عرب ميديا، وفلاش فيديو فيلم[1]، ومن أهم المؤلفين الذين استخدمت مؤلفاتهم لذلك: محمد جاد المولى، وعبد الحميد كشك، والشعراوي، وحسن أيوب، وطارق سويدان، ومسعد أبو النور، ووجدي غنيم، وأحمد بهجت(بالانكليزية) وأخيراً عمرو خالد في برنامج: نلقى الأحبة وغيرها.

وغالبية هذه القصص - بكل وسائلها- هدفها تربوي دعوي، فهذا المنهج في التفسير للقرآن كله معروف عند سيد قطب في الظلال وسعيد حوى في الأساس وعند زينب الغزالي في تفسيرها لبعض أجزاء القرآن، وإن كانت تدرج هذه تحت مسميات أخرى كالتفسير الأدبي أو الاجتماعي، أو التربوي، ولكننا لا نستطيع أن نفصل الدعوة عن كل هذه المناهج، فلابد للداعية أن يكون له أسلوبه الأدبي الذي يقنع قلب وعقل المدعو، ولابد أن يهتم بالمجتمع الإنساني وتربيته، فالتربية تهدف إلى الدعوة وهي جزء منها.

وهذا الأسلوب الدعوي ينطبق على تفسير القصص القرآني، فللقصة مكانة دعوية فاعلة في

[1] انظر المواقع الإسلامية ومنها: **iqrashop.com , market.elnoor.com**

منهج الدعوة وخصوصاً الدعوة إلى العقيدة، والقرآن الكريم قد قرر مشروعية الاعتماد على القصة القرآنية في الدعوة من خلال آيات القصص القرآني نفسها، أو إشارات القرآن الكريم إليها كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ يوسف:١١١، وقوله تعالى مخاطباً النبي محمد ﷺ:﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ١٧٦.

وهناك من يرى الحاجة لوضع ضوابط لهذا المنهج على الرغم من مشروعية عدِّ هذه القصص وسيلة للدعوة لضمان سلامة المسار وتحقيق الهدف وخصوصاً في مجال العقيدة، وقبل ذلك لا بد من تحديد المصدر بالقرآن فقط، مع الاستعانة بالسنة والمصادر الأخرى.

لقد وضعت د. منى بنت عبدالله ضوابط للمنهج وخصصته للدعوة إلى العقيدة وهي[1]:

١- عدم تجاوز حدود السياق القرآني الخاص بالقصة.
٢- توخي كمال العبرة في الهدف الذي سيقت القصة من أجله.
٣- الدقة في التحديد والوضوح في الصياغة.
٤- عدم تجاوز قدسية الشخصية النبوية.
٥- التدرج في ترتيب الأهداف.
٦- مراعاة فقه النص في تحقيق مرونة الهدف.
٧- مراعاة فقه الواقع في تحقيق فاعلية الهدف.

معالم المنهج الدعوي في تفسير القصص القرآني:

يقوم هذا المنهج على بيان طرق الأنبياء وأساليبهم في الدعوة إلى الله، وقبل الشروع فيها أشير إلى تأكيد هذه التفاسير على ضرورة الدعوة إلى الله ووجوبها، وهذه الفريضة حملها رسل الله عليهم السلام، وأتباعهم الصادقون، والذين قال الله فيهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت:٣٣، كما تؤكد هذه التفاسير على مكانة العقيدة وأركان الإيمان، القائم على التوحيد الخالص ونبذ الشرك، وهي المهمة الأولى للأنبياء، وفاتحة دعوتهم،[2] وأهمية الرسل والإيمان بهم، والإيمان بالبعث والجزاء، والاستدلال عليه بالبراهين ومنها: بالبدء على الإعادة، ولفت النظر إلى المخلوقات التي هي أعظم من خلق الإنسان.

[1] انظر تفصيل هذه الضوابط في: منى بنت عبد الله حسن بن داوود، **مناهج الدعوة إلى العقيدة**.
[2] راجع منى بنت عبد الله حسن، **مناهج الدعوة إلى العقيدة**، ص ٢٢.

والمنهج الدعوي يبرز طرق الأنبياء في الدعوة والتي تعد معالم هذا المنهج وهي[1]:

أولا: الاقناع والبيان بالحجة والبرهان، ويتضمن:

١- لفت النظر إلى الآيات الكونية لما تدل عليه من قدرة الله وعظيم صنعه المحكم، والتذكير بنعم الله تعالى لحمل العبد على الإيمان بالخالق المنعم، كما قال الله حكاية عن نوح وهو يدعو بهذه الوسيلة: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً. أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً. وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً. لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾ نوح:١٣-٢٠.

٢- بيان صفات الكمال لله وحده، وهي غير موجودة فيمن يعبد سواه، وهذه الوسيلة نراها في كل قصص الأنبياء، ففي قصة هود عليه السلام سفهه قومه كما حكى القرآن ﴿قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ﴾ هود: ٥٣-٥٤، مما يشعر باعتقادهم في آلهتهم النفع والضر، والانتصار والانتقام فأجابهم هود: " قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هود: ٥٤.

٣- الاستدلال العقلي المحض، وهي من أعظم الحجج التي تلزم الخصم بالتسليم، ولا يجد مفرا منها مهما حاول العناد والمكابرة، ولا يحمل الانصراف عنها إلا الحسد والكبرياء لأنه دحض للحق كما قال تعالى عنهم: ﴿... أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف: ١٧٩، ومن أمثلتها ما جاء في دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً﴾ مريم: ٤١-٤٢، وجاءهم بالحجة الثانية "قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ الشعراء:٧٢، وقد حملهم على الإجابة الواردة على ألسنتهم ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ الشعراء:٧٤، فجاءهم بالحجة العقلية ببطلان أن يعبد الإنسان ما يصنع بيده ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ الصافات: ٩٥.

٤- ضرب الأمثلة وهو من الأساليب القوية التي تقرب المعنى إلى الأذهان وتبرزه في صورة المحسوس، وهو من أساليب البيان في القرآن الكريم، ورد في دعوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ، ومما

[1] راجع تفاصيل هذه الوسائل: الديلمي، عبد الوهاب بن لطف، **معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم**، ج١ ص ٢٥٠- ٣١٣.

جاء في الدعوة إلى التوحيد، وإبطال الشرك، وعدم التسوية بين الخالق والمخلوق في العبادة والتعظيم، منها قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْت بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ النحل: ٧٦، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ الحج: ٧٣.

ثانياً: بيان مواقف الأمم من الدعوة، في قصص الأنبياء عبرة وأسوة في كيفية مواجهة المواقف المختلفة مع المعاندين والأعداء وكيفية مواجهتهم، ففي كل عصر يواجه المؤمنون أتباع الرسل ومن بعدهم من الدعاة مواقف مشابهة تتطلب من الداعية أن يكون على بصيرة بتلك المواقف من خلال القصص القرآني، وجاءت هذه المواقف على الأشكال التالية:

١- موقف المترفين وأصحاب السلطة، وإضلالهم للعامة، في تطاولهم على الأنبياء وإصرارهم عن الكفر، ومن ثم احتقارهم الأنبياء والسخرية بهم، وقد جاءت الآيات بذم الترف والبطر وجعلتها من أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات[١]، ووضع القرآن معالم لموقف المؤمن من المال الضروري للحياة ملخصها أن يشعر أن المال لله وأنه مستخلف فيه، فيحسن التصرف كسباً وإنفاقاً ويؤدي حق المال، ففي قصة قارون ذكر القرآن نصيحة المؤمنين له، والتعجيل بعقابه في الدنيا، ومن فوائدها استخلاص العبرة بأن الفقر والغنى لا يعنيان رضا الله أو سخطه على عبده، وأن كثرة المال قد توقع صاحبه في البغي والبطر ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾، ومثل ذلك في بطر فرعون وقوم نوح[٢].

٢- طلب الآيات تعنتاً، فقد جرت سنة الله أن يؤيد رسله بالبينات، ولكن الأمم تقف منها موقف المكذب فقد ذكر القرآن عن قوم صالح ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الشعراء: ١٥٣، وقد طلب كفار قريش من محمد الكثير ﴿وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۞ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ الحجر:٦-٧، وقد استجاب الله لبعض الأمم بإظهار الخوارق للتأكد من صدق الرسول ولكن حين تتحقق تلك الآيات لا يزدادون إلا نفوراً، ويتهم الرسل بالسحر.

---

[١] وخير من بيّن ذلك هو الدكتور عبد الكريم زيدان انظر كتابه السنن الإلهية في الأفراد والأمم والجماعات، ومن السنن التي تحدث عنها (سنة الله في الترف والمترفين)، وكذلك في تفسيره لقصص القرآن والذي خصه للمنهج الدعوي وذكر ما يستفاد منه الدعاة في مواجهة المترفين.

[٢] انظر يونس: ٨٣، هود:٢٧.

٣- طلب إنزال العذاب العاجل، إمعانا في التكذيب والكفر، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ... قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ الأحقاف: ٢١-٢٢، و﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ العنكبوت:٥٤، وهذه القصص تظهر حماقة المشركين وعدم تقديرهم للعواقب، لأن الله سيعاجلهم بالعقوبة بعد أن كذبوا بالآيات التي طلبوها.

٤- موقف المترفين من استجابة المستضعفين ذوي الفطرة السليمة التي لم بفسدها البطر، وقد جاء القصص القرآني يدل على مبادرتهم لاستجابة دعوة الرسل كما قال قوم نوح ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ هود: ٢٧ وطلبوا من نبيهم طرد المستضفين فأبى، وجاء التوجيه الإلهي للرسول ﷺ بالاهتمام بهؤلاء كما في سورة عبس، وسورة الكهف.

٥- محاولة الصد عن سبيل الله بطرق مختلفة منها:

– محاولة زعزعة الثقة بالأفك والباطل، بالتشكيك في سلامة عقول الرسل ورميهم بالجنون، والتشكيك في إخلاصهم وصدقهم.

– محاولة الصد عن الدعوة بالإغراء، في حين أن الرسل لا يريدون الأجر، ومن صور الإغراء ما نجده في قصة موسى وفرعون: ﴿وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ الأعراف: ١١٣-١١٤.

– محاولة الصد بالتهديد والإيذاء، وصور الإيذاء والتهديد كثيرة، سواء للأنبياء أو أتباعهم، وهي مستمرة مع الدعاء في كل حين، ولها صور جديدة في عصرنا الحاضر، وبيان ذلك من خلال القصص لبيان أن الابتلاء سنة في الدعوات.

٦– بيان موقف المنافقين، وقد تجلى موقف المنافقين واضحا في قصة النبي محمد ﷺ، وجاءت الآيات بفضحهم وبيان علاماتهم وأخلاقهم مما يستفيد منه الدعاة في التعامل مع هذا الصنف.

٧– ثبات أهل الحق واستعلاؤهم بإيمانهم في ساعة المحنة، وهذا ظاهر في كل قصص القرآن الكريم في موقف الرسل وأتباعهم من الثبات على الحق والصبر على البلاء والاحتساب والاعتماد على الله والأخذ بالأسباب، من أجل الحفاظ على عقيدتهم، ورجاء الثواب كما قال

تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾ النساء:١٠٤، وفيما نزل عن قصة غزوة أحد ما يغني للدعاة وبيان ذلك من قصص الأنبياء مهم لتكرار القصص في كل زمان.

ثالثاً: أسلوب الترغيب والترهيب، وهو من الوسائل التي وردت في القصص القرآني في مجال الدعوة إلى الله، وهو أسلوب له تأثيره ووقعه في النفوس، فالإنسان مجبول على حب الخير والسلامة، وعلى كراهية الشر والأذى، فمن الترغيب:

– الوعد بالأجر العاجل في الدنيا عند تحقق الإيمان، وعدم المعاجلة بالعقوبة، وهذا عامٌ في كل الرسل كما أخبر الله: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إبراهيم:١٠، ففي قصة نوح: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ نوح:١.

– الوعد بالإمداد بالخير لنوح أيضا: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۞ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ﴾ نوح:١٠-١٢.

– الوعد بالزيادة كما أخبر تعالى عن موسى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧، وفي دعوة محمد ﷺ: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً﴾ هود:٣.

– والوعد بالاستخلاف والتمكين في الأرض كما في دعوة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ النور: ٥٥.

– الوعد بالنصر والتأييد والعزة والكفاية والدفاع كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم:٤٧، وفي وعد عيسى للحواريين: الصف:١٤.

– والترغيب في بيان سنته فيمن مضى في مثل قبول توبة آدم، ورفع الضر عن أيوب، وتأييده لموسى بأخيه هارون عليهما السلام.

أما الترهيب فقد جاء في القصص في سياق:

– هلاك القرى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ الأنعام: ٤٢.

– وقائع لأفراد أو جماعات بسبب استكبارهم، قال تعالى عن قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ القصص:٨٠، وما حصل لمسكن سبأ.

– مصير الأمم المكذبة، كما حصل لقوم نوح وعاد وثمود وهو في القصص القرآنية كثير يستدل به على إمكانية حصول ذلك في كل زمان.

– مشاهد يوم القيامة الكثيرة وفي القصص النبوي تحذيراً للأمم، ففي دعوة مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ غافر:٣٢-٣٣.

رابعاً: تأييد الله لأنبيائه بالمعجزات والخوارق، فما من نبي أرسله الله عز وجل إلا كان له نوع معجزة حسية خارقة للعادة تؤيد صدق النبي في دعواه للرسالة، وكانت المعجزات تأتي أحياناً لطلب الأقوام تعنتاً، وقد ذكرت القصص القرآنية ذلك بالتفصيل، كنجاة إبراهيم من النار، وناقة صالح، والعصا واليد والآيات التسع لموسى عليه السلام، وانشقاق القمر، وآخرها المعجزة الخالدة للرسول ﷺ، لما فيه من أنواع الإعجاز (البلاغي اللغوي، والتشريعي، والغيبي، والعلمي) فحين طُلب من الرسول ﷺ معجزات حسية رد الله عليهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ العنكبوت:٥٠، فالاستشهاد بهذه الخوارق من وسائل الدعوة.

خامساً: التطبيق العملي للداعية وهو من أهم وسائل الإقناع للوصول إلى قلب المدعو، فالداعية المقتدي بالأنبياء يصلح أن يكون قدوة لغيره، ويظهر خلال القصص في أمرين:

١- في ثناء الله على أنبيائه وأتباعهم، لأن ذلك شهادة لهم بما كانوا عليه من القدوة الحسنة، فهم كما أحسنوا عرضه أحسنوا تطبيقه في أنفسهم،[١]، ومن أمثلة ثناء الله على أنبيائه وأتباعهم لاستقامتهم وطاعتهم في القرآن قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ الأنعام:٨٤، فجاء ثناؤه لما فيهم من الصفات الكريمة، وخص الله بعضهم كنوح بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ الإسراء:٣وقال عن إبراهيم ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ النحل:١٢٠، وعن رسولنا محمد ﷺ حيث جمع له الصفات بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم٤.

[١] الديلمي، عبد اللطيف، **معالم الدعوة**، ١/ ٥٥٢ (بتصرف).

٢- ذكر التطبيق العملي للأنبياء في حياتهم، إن إبراز ذلك لكل الأنبياء بتفاصيلها أمر عسير، عدا سيرة نبينا ﷺ، أما عن غيره فلا نطمئن إلا لما ورد عنهم في القرآن والسنة الصحيحة، ومن أمثلتها ما ورد من براءة هود مما يعبد قومه: ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هود:٥٦، وعن لوط ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ الشعراء:١٦٧، أما عن الرسول ﷺ فهناك الكثير عن تطبيقه في جوانب متعددة كما ذكر القرآن هجرته ورأفته بالمؤمنين وجهاده في الغزوات.

سادساً: دفع شبهات الأعداء ويتضمن:

١- دفع الشبهات حول الرسل عليهم السلام، وقد ذكر القرآن الشبهة والرد عليها كقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَّسُولاً {٩٤} قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً﴾ الإسراء: ٩٤-٩٥، وقد وردت هذه الشبهات خلال قصص الأنبياء.

٢- دفع الشبهات حول القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ العنكبوت: ٤٨، و مثل ذلك في سورة الأنعام: ٧، ورد شبهات أهل الكتاب حول القرآن والرسول: راجع آل عمران: ٧١.

٣- الرد على شبهة التشاؤم بالأنبياء كما في قصة أصحاب القرية قال تعالى حاكياً عنهم ورد الأنبياء عليهم: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ يس:١٨-١٩.

سابعاً: التركيز على الخاتمة بانتصار الحق، فلأولياء الله العزة والعلو، فقد وعدهم الله بالنصر والتمكين، وجعل لهم العاقبة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " آل عمران: ١٣٩، ويظهر انتصار الرسل في عدة صور[١]:

١- إيثار الموت في سبيل الحق، وقد تجلى ذلك في مواقف الرسل ع وأتباعهم كما في قصة أصحاب الأخدود، والسحرة بعد إيمانهم بموسى فلم يأبهوا بوعيد فرعون ﴿... قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ الشعراء: ٥٠.

٢- استئصال المعاندين ونجاة المؤمنين، وهذا ما حصل للأمم المكذبة بعد أن تطلب الآيات فتجحدها، أو تستعجل العذاب فيترل الله عقابه بالظالمين كما قصّ القرآن هلاك قوم نوح وعاد

[١] راجع الديلمي، عبد الوهاب بن لطف، **معالم الدعوة**، ٢/٩٣٠- ١٠١٠.

وثمود وآل لوط، قال تعالى مخاطباً نبيه لتثبيته ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم: ٤٧.

٣- انتشار الدعوة وذهاب الباطل، وقد تحقق ذلك باستخلاف الرسل ومن آمن معهم من بعدهم وهو وعد من الله وقد تمّ ذلك لمن ختم الرسالات وشاء الله أن يكون للناس كافة، وقد بشر الله نبيه ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ القمر:٤٥، وكان كما قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ المائدة:٣.

وكل هذه الصور تدخل تحت إطار ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ غافر: ٥١.

ثامنا: الأخذ بأسباب النصر من التربية والإعداد والسلوك، فمن خلال قصة الأنبياء ومع تأييد الله لهم، إلا أن النصر لم يقدم لهم وهم قابعون في زواياهم لم يحركوا ساكنا سوى الدعاء، ثم ينتظرون النصر بل قدموا ثمناً باهظاً من دمائهم وراحتهم، وصبروا وعذبوا وأخرجوا من ديارهم وجاهدوا في سبيل الله. فالتربية لابد منها وليس هناك أنجح من التربية القرآنية التي سار عليها النبي ﷺ وهي تشمل الإعداد والسلوك، والمنهج الدعوي لابد أن يبرز ذلك من خلال القصص. فالقصص القرآني تربوي في المقام الأول، يعالج المشاكل في ضوء المبادئ الإسلامية، فسورة الكهف مثلا تحتوي على عدة قصص تساهم في تربية الإنسان.

ويلاحظ مراعاة المنهج لأسلوب العرض بأن لا يكون هزيلاً مبخساً لقيمة القصة القرآنية مبنى ومعنى مفقداً أهدافها الحقيقية التي جاءت من أجلها، كما ينبغي عدم التكلف وتحميل القصة ما لا تحتمل من الخيال الأدبي. كما ينبغي مراعاة الفاعلية والتأثير في العرض، وهذا يعتمد على التخصص العلمي للباحث، وذوقه في انتقاء الأسلوب المناسب في ذلك بما يناسب قدسيتها وأهدافها[1].

[1] راجع منى بنت عبد الله حسن، **منهج الدعوة إلى العقيدة**، ص ٢٤٥.

المحور الثاني
الداعية عبد الكريم زيدان وكتابه المستفاد من القصص القرآني

أولاً– نشأته وتحصيله العلمي، ومشاركاته العلمية:

هو عبد الكريم زيدان بيج، ولد في بغداد سنة ١٩١٧م، نشأ فيها وتعلم قراءة القرآن الكريم في مكاتب تعليم القرآن الأهلية، وأكمل الدراسة الابتدائية والإعدادية والثانوية وتخرج في كلية الحقوق ببغداد، والتحق بمعهد الشريعة الإسلامية بكلية حقوق القاهرة وتخرج فيه بتقدير ممتاز.

وكانت له دراسات خاصة في الفقه الإسلامي وفي مراجعه المهمة ولاسيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، ومدارسات ومناقشات مع أهل العلم في مسائل الفقه الإسلامي قبل التحاقه بمعهد الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة وبعده.

وهو من الدعاة العلماء العاملين في الوسط الجامعي منذ مايزيد على أربعين سنة، فقد حصل على شهادة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٢م بمرتبة الشرف الأولى، وعمل في مجال تخصصه أستاذاً للشريعة الإسلامية ورئيس قسمها بكلية حقوق جامعة بغداد، ثم أستاذا للشريعة الإسلامية ورئيس قسم الدين بكلية آداب جامعة بغداد، ثم أستاذا للشريعة الإسلامية بكلية الدراسات الإسلامية ببغداد وعميدها سابقاً. ولا زال أستاذا للشريعة الإسلامية بقسم الدراسات الإسلامية ودراسة الماجستير بجامعة صنعاء. يحمل لقبا علميا بدرجة (أستاذ في الشريعة الإسلامية)، وبعد إحالته للتقاعد منح لقب (أستاذ متمرس) من جامعة بغداد، وهو لقب يمنح للمتقاعد بمرتبة (أستاذ) الذي له مؤلفات وأبحاث علمية وأنشطة ممتازة في مجال اختصاصه.

لم تقتصر جهوده العلمية علىالتدريس في المرحلة الجامعية الأولية والدراسات العليا بل أشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه في الشريعة الإسلامية في جامعة بغداد وفي جامعة صنعاء، واشترك في لجان مناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعة بغداد وفي جامعة صنعاء في الوقت الحاضر.

ومن مشاركاته العلمية إلقاء محاضرات في أسبوع الفقه الإسلامي في دولة الكويت في الستينيات. وقد استكتب في بعض الموضوعات الفقهية في موسوعة الفقه الإسلامي بدولة الكويت في الستينيات أيضا. وشارك في الحلقة الثالثة للقانون والعلوم السياسية المنعقدة ببغداد سنة ١٩٦٩م برعاية جامعة الدول العربية، وألقى بحثا فيها في القانون الدولي العام في الشريعة الإسلامية. وفي السبعينيات تم اختياره عضوا في مجلس أمناء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. وألقى بحثا في أسبوع الفقه الإسلامي بالرياض أوائل السبعينيات كذلك.

وألقى عدة محاضرات في أسبوع الفقه الإسلامي بدولة قطر في سنتي ١٩٩٥م و١٩٩٦م.

وفي اليمن شارك في ندوة إثبات الأهلّة وحكم المراصد الفلكية المقامة بصنعاء في يناير١٩٩٦م. وشارك في مؤتمر البنوك الإسلامية الأول المقام في صنعاء ١٩٩٧ .

وهوعضو من أعضاء لجنة التحكيم لنيل جائزة المرحوم هائل سعيد أنعم للعلوم والآداب منذ عام ١٩٩٨م. وعضو في مجلس المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة منذ ٢٠٠٠/١٢/١٣م. وقد فاز بجائزة الملك فيصل العالمية سنة ١٩٩٧ علىكتابه المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم (في ١١جزءا).

يتميز بنشاطه الدعوي في مجال التأليف الجامعي بأسلوبه الهاديء الرصين، ومنهجه العلمي المتين، وقد عرفت مؤلفاته في الجامعات العربية والإسلامية الكثيرة، وصار الكثير منها من المصادر المعتمدة في المواد الدراسية بقسم الفقه وأصول الفقه والدعوة والإرشاد، ومن أبرز هذه المؤلفات كتابه أصول الدعوة، والوجيز في أصول الفقه، والمدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، وقد طبعت كتبه طبعات كثيرة، فالكتاب الأخير طبع ١٦ مرة، ولاشك أن هذا يدل على مدى رواجه وتداوله في الجامعات وأوساط المثقفين المسلمين.

آثاره ومؤلفاته: وهذه آثاره ومؤلفاته كتبا وبحوثا:

أولاً: الكتب:

أ: في الشريعة والفقه وأصوله والقانون:

١. أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ط الرسالة، بيروت ١٩٩٨في ٥٥٨ص.
٢. ردود على شبهات ط مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة سنة١٩٩١م في ٤٧ص.
٣. السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات في الشريعة الإسلامية.

٤. علوم الحديث بالاشتراك مع د. عبد القهار العاني، ط عصام، بغداد سنة ١٩٩٠م.
٥. الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية.
٦. القصاص والديات في الشريعة الإسلامية ط الرسالة، بيروت ١٩٩٨في٣١١ص.
٧. الكفالة والحوالة في الشريعة الإسلامية.
٨. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ط١٦الرسالة، بيروت سنة ١٩٩٩في ٣٥٥ص.
٩. المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم (في ١١ جزءا).
١٠. نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، ط العاني، بغداد ١٩٨٤م في٤٠٠ص.
١١. نظرات في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية ط الرسالة ٢٠٠٠م في ٥٠٢ص.
١٢. الوجيز في أصول الفقه،ط٥ مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٩٩٦في٤٣٥ص.
١٣. الوجيز في شرح القواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية.

ب: في أصول الدين والدعوة:

١. أصول الدعوة ط٩ مؤسسة الرسالة، بيروت سنة٢٠٠٠م في ٥١٥ص .
٢. المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة (في جزئين) ط١ الرسالة سنة٢٠٠٠م.
٣. موجز الأديان في القران.

ثانياً: البحوث: في الشريعة والفقه وأصوله والقانون والدعوة: نورد عناوينها إثبات الأهلة وحكم المراصد الفلكية في الشريعة الإسلامية، أثر القصود في التصرفات والعقود، أحكام الرضاعة في الشريعة الإسلامية، أحكام اللقيط في الشريعة الإسلامية، أحكام النية المجردة في الشريعة الإسلامية، الاختلاف في الشريعة الإسلامية، حالة الضرورة في الشريعة الإسلامية، حقوق الأفراد في دار الإسلام، الدعوة في العصر الحاضر (الواقع – المعوقات – الحلول)، الديمقراطية ومشاركة المسلم في انتخاباتها، الرق في الإسلام، الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، العقوبة في الشريعة الإسلامية، عقيدة القضاء والقدر وأثرها في سلوك الفرد، القيود الواردة على حق الملكية الفردية في الشريعة الإسلامية، اللقطة وأحكامها في الشريعة الإسلامية.

ويلاحظ على هذه البحوث أن أكثرها نشر قبل سنة ١٩٧٥ في مجلات جامعية وعلمية رصينة، ثم جمع تسعة منها، وصدر في كتاب بعنوان: (مجموعة بحوث فقهية) نشرته مكتبة القدس في سنة ١٩٨٦ وكتب المقدمة في سنة ١٩٧٥م ويقع الكتاب في ٤٦٤ صفحة.

ويلاحظ أن أحدث هذه البحوث قدمها في ندوات علمية ومؤتمرات عالمية، فأولها في إثبات الأهلة.. قدمه إلى ندوة إثبات الأهلة في صنعاء في شعبان١٤١٦هـ، والثاني عن الدعوة في العصر الحاضر.. بحث قدمه في ندوة (مقتضيات الدعوة في ضوء المعطيات المعاصرة) المنعقدة في جامعة الشارقة في ١٧-١٩/٤/٢٠٠١م، والثالث عن الدمقراطية.. بحث قدمه إلى مجمع الفقه الاسلامي في مكة المكرمة في دورته السادسة عشرة ٢١/١٠/١٤٢٢هـ.

منهجه العلمي في مؤلفاته:

أولاً: يتبع الدكتور في مؤلفاته منهجاً علمياً متميزاً نلحظه بشكل مضطرد في كتبه وبحوثه كلها، وهو المنهج الاستقرائي الذي يعتمد على تتبع المسئلة الفقهية في مصادرها الأصيلة واستقصائها من مظانها الأمينة، واستخلاص آراء العلماء بشكل دقيق يدل على إحاطته بمادته إحاطة تامة، ومن جهة أخرى فتتميز خطة بحثه بالدقة العالية حين يصنف القضية الكبرى إلى أقسامها الرئيسة، ويتدرج بها إلى التفاصيل تدرجاً منظماً يتناسب مع المنطق المعقول، مستدلا في ذلك كله بالمنقول من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأقوال الصحابة والتابعين، والمأثور من أقوال الفقهاء بمذاهبهم المختلفة، ومستأنسا بآراء من القوانين الدولية العامة والخاصة.

وتقسيماته تبدأ من الأبواب إلى الفصول ثم المباحث والمطالب والفروع، وللكشف عن هذا المنهج نستعرض بعض مؤلفاته، وأهم كتاب له في الدعوة والإرشاد وهو كتاب أصول الدعوة، فقد بنى كتابه على معنى الدعوة وجعله في مقدمة وخاتمة موجزتين وأربعة أبواب، وهذه الأبواب الأربعة تمثل أصول الدعوة وهي:

١. موضوع الدعوة ٢. الداعي ٣. المدعو ٤. وسائل الدعوة

الباب الأول: عن موضوع الدعوة، وهو في خمسة فصول: ١. تعريف الإسلام ٢. أركانه ٣. خصائصه ٤. أنظمته ٥. مقاصده

والباب الثاني: عن الداعي في ثلاثة فصول: ١. التعريف بالداعي ٢. عدته ٣. أخلاقه.

والباب الثالث: عن المدعو وهو في فصلين: ١. التعريف بالمدعو ٢. أصناف المدعوين.

والباب الرابع: عن أساليب الدعوة، وهو في ثلاثة فصول: ١. مصادر هذه الأساليب ٢. أساليب الدعوة ٣. وسائل الدعوة.

ويتميز نظام كتابته في كتبه وبحوثه جميعاً باعتماده على ترقيم الفقرات، فكتابه أصول الدعوة مثلاً يقع في ٧٦٥ فقرة، وبحثه بعنوان الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام يقع في ٨٠ فقرة. ولا شك أن هذ النظام في الكتابة يحقق الإحكام والضبط الدقيق للأفكار والمعلومات، ويحقق الوحدة العضوية بين أجزاء الأبواب والفصول والمباحث والمطالب والفروع، فلا تخفى علاقة المسألة الفقهية بما سبقها وبالذي يأتي بعدها، ويدرك القارئ صلة تفاصيل القضية الواحدة فيما بينها، فتنتظم أفكاره ومعانيه بشكل سوي.

ثانياً: منهجه الدعوي في كتابة المستفاد من قصص القرآن:

١- منهجه في تقسيم الكتاب وهيكله يتألف الكتاب من جزأين وسمى كل جزأ فيه باباً، وقسم كل باب إلى فصول والفصول إلى مباحث والمباحث إلى مطالب والمطالب إلى فروع، بقدر ما يحتاجه الفصل من هذه التقسيمات، وجعل لكل فصل قصة.

وخصص الباب الأول عن: قصص الماضين من الأنبياء وغيرهم، وبدأ بقصص الأنبياء لأهميتها، ثم عرض بعد قصص الأنبياء قصص أتباعهم من المؤمنين، ثم قصص غيرهم من الأفراد الذين قصّ الله علينا أخبارهم لما في قصصهم من عبرة. وتضمن الباب ستة وعشرون فصلاً ولكل فصل قصة وعي: (قصة آدم وإبليس، ابني آدم قابيل وهابيل، نوح، عود، صالح، إبراهيم، إسماعيل، لوط، شعيب، يوسف ، موسى، داوود، سليمان، أيوب، يونس، عيسى، لقمان، ذو القرنين، قارون، أصحاب القرية، أصحاب الكهف، أصحاب الأخدود، أصحاب الجنة، صاحب الجنتين، أصحاب الفيل، المنسلخ من الآيات). وقد علل ابتداؤه بقصص الأنبياء مقتبسا من كلام سيد قطب في ذلك في قوله:" يمثل موكب الإيمان في طريقه الممتد الواصل الطويل، ويعرض قصة الدعوة إلى الله واستجابة البشرية لها جيلاً بعد جيل، كما يعرض طبيعة الإيمان في نفوس هذه النخبة الممتازة من البشر، وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين ربهم الذي خصهم بهذا الفضل العظيم"[١].

[١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١ ص ٥٥.

أما الباب الثاني فقد خصصه لما يتعلق من قصص القرآن الكريم بسيدنا محمد ﷺ وأصحابه الكرام وقصص المنافقين وما دار في المجتمع المدني. وتضمن الباب اثنين وعشرين فصلاً لكل قصة فصل وهي: (قصة بدأ الوحي بالنبوة، قصة بدأ الوحي بالرسالة، مرحلة الدعوة السرية، مرحلة الدعوة الجهرية، الهجرة إلى المدينة، غزوة بدر الكبرى، غزوة أحد، غزوة حمراء الأسد، غزوة الخندق، موقف الرسول ﷺ من يهود المدينة، غزوة بني المصطلق (المريسيع)، حديث الأفك، زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش، غزوة الحديبية، غزوة خيبر، معركة مؤتة، فتح مكة، غزوة حنين، غزوة الطائف، غزوة تبوك، حجة الوداع، مرض النبي ﷺ وما قاله وفعله قبل وفاته). والباب كله يتمحور فيما له علاقة بسيدنا محمد ﷺ وبجهاده المبرور منذ بدء الوحي، وبنبوته ورسالته إلى حين وفاته، وما قصّه الله عن صحابة رسول الله ﷺ وجهادهم معه وما قصّه الله تعالى عن المنافقين وأحوالهم وتصرفاتهم، وهم الذين كانوا في المجتمع الإسلامي في عصر النبي ﷺ ، وكيف عاملهم النبي في ظل التوجيهات القرآنية مستهدفاً من ذلك كله ما يستفاد للدعوة والدعاة كما ذكر في مقدمته[1].

٢- المنهج العلمي للكتاب:

ويبدأ الكتاب بمقدمة ذكر فيها أهم خطواته الأساسية، فقد نبّه أولاً إلى أهمية القصة القرآنية وحسّنها لأن الله تعالى نصّ على ذلك قائلاً: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـــذَا الْقُرْآنَ﴾ يوسف: ٣، مبيناً معنى القصص من أقوال المفسرين. ومعنى القصص على وجهين: المصدرية، أي: أحسن الاقتصاص كما يقال: أحسن التكليم وأحسن البيان، والوجه الثاني عن المفعولية أي: أحسن ما يقص من الأخبار، ويؤيد هذا المعنى المراد قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ يوسف:١١١، وهذا ما رجحه ابن تيمية[2]

ثم بين ظاهرة التكرار لقصة القرآن الكريم والفوائد المتحققة منها لأنها لما كانت لأجل العبرة والموعظة اختلفت أساليبها بين الإيجاز والإطناب، وفي كل سياق ما ليس في الآخر حتى لا تمل في ألفاظها ومعانيها، والأقوال المحكية في القصص تشرح الحقائق وليست نقلاً لألفاظ المحكى عنهم، إذ لم تكن لغة هؤلاء الأعاجم عربية، ويذكر رأي سيد قطب في التكرار، وهو أن كل قصة تكررت كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار[3].

---

[1] **مقدمة الجزء الثاني**، ص ٧-٨.

[2] ابن تيمية، **الفتاوى**، ٢٢/١٧. والمستفاد في المقدمة ص ٥.

[3] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ٥٥/١.

ثم ينتقل إلى بيان الحكمة في قصص القرآن ويلخصها في سبع نقاط [1]، وقد أشرت إليها في المحور الأول. ثم ينتقل إلى الفوائد من القصص للدعوة والدعاة، ويصل أخيراً إلى الغرض من تأليف هذا الكتاب وهو الكشف عما يستفاد من هذه القصص للدعوة والدعاة.

ومن استقراء الجزأين نصل إلى أهم ملامح منهجه في كتابه المستفاد على النحو الآتي:

١- اتبع الكاتب منهج التفسير الموضوعي فيه حيث خصصه لقصص القرآن فقط، وقد ضمّنها قصص السيرة النبوية والمجتمع المسلم في العهد المكي والمدني، وهي طريقة قلما اتبعت من قبل من يكتبون عن قصص الأنبياء أو القصص القرآني، بل هو تميز باستيفائها حسب منهجه في بيان العبرة وما يستفاد منها للدعوة والدعاة.

٢- جمع في كل فصل الآيات التي تتعلق بقصة واحدة من سور مختلفة ثم يقسم شرحه لها إلى قسمين رئيسيين، **الأول:** موجز للقصة في مبحث أو أكثر وقد يقسم المباحث إلى مطالب ثم فروع حسب ما تقتضيه القصة، وكل ذلك بشكل موجز، ويكتفي أحياناً بوضع عناوين فرعية جانبية في المبحث الواحد. **والثاني:** ما يستفاد من القصة للدعوة والدعاة متبعاً الأسلوب ذاته في التقسيم إلى مباحث ومطالب وأجزاء.

٣- يعتمد في شرحه الموجز للآيات على كتب التفسير المختلفة قديمة وحديثة، ولكن في الغالب يعتمد على المأثور منها وخصوصا تفسير ابن كثير، ومن التفاسير التي اعتمد عليها علاوة على ابن كثير: تفسير القرطبي والرازي، ومن الحديث القاسمي والمنار وهو كثير الاقتباس من الظلال لسيد قطب، أما فيما يتعلق بالقسم الثاني من تفسيره وهو ما يستفاد من القصة للدعوة والدعاة فهو مما ينقله من المفسرين وما يستنبطه هو وينكشف له بعد طول تدبر وتأمل وخصوصاً من رجل دعوة عايشها ومارسها مستفيداً منها عارفاً مبصراً لأهميتها. وهو في ذلك يقول:" ثم بينت ما يستفاد من القصة للدعوة والدعاة في ضوء ما ذكره المفسرون في تفسير هذه الآيات وفي ضوء ما ينكشف لي من معاني القصة ومراميها بعد طول تأمل فيها"[2].

٤- عدم الخوض في القضايا اللغوية والنحوية، ويقتصر على بيان المعنى المراد من الآية من غير إطالة، كما يبتعد عن الخوض في القضايا والخلافات الفقهية لأنه ليس هو هدف التأليف،

[1] **المقدمة**، ج١/ ٧-٨.

[2] انظر **المقدمة**، ص ٩.

ولكن قد يستعين بقاعدة فقهية – ولكونه مختصاً بأصول الفقه– كما في قصة آدم وإبليس حين أطاعه فأكل من الشجرة الممنوعة نراه في الفوائد يقول: لا رأي لأحد مع وجود النص ولا تعقيب عليه، ويشير معلقاً: ومرد هذا إلى القاعدة "لا اجتهاد في معرض النص" وقد يذكر أحياناً آراء العلماء وترجيحاتهم لإظهار معنى معين يخدم منهج المؤلف كما في بيانه للتعليل الراجح لأكل آدم من الشجرة الممنوعة، أهو نسيانه للعهد أم انخداعه بقول إبليس، مرجحاً الأمرين معا للأدلة القرآنية لأن تصديقه لأبليس الذي أقسم لهما سهل لآدم الوقوع في نسيان العهد[1].

٥– الربط بالواقع خلال تفسيره للآيات وأكثر من ذلك حين يذكر ما يستفاد من القصة للدعوة والدعاة تحقيقا للغرض من التأليف، ولذلك نراه يستخم مصطلحات جديدة عصرية أو يتخذ من الآية دليل على رد نظرية أو شبهة حديثة، ومثال ذلك في قصة آدم وخلقه يذكر موضوعا جانبياً في الفوائد تحت عنوان: آدم هو أصل البشر ودحض نظرية دارون[2]، وذلك لأنها تخالف ما جاء في القرآن، وفي موضوع تخويف الشيطان للإنسان بأمور منها الفقر وأنواع الابتلاء يذكر فوائد جليلة لدعاة اليوم منها: [الدعوة إلى الله جهاد] [الجهاد بالقول أيسر من الجهاد بالنفس] [القيام بواجب الدعوة لا يتوقف على إذن من الدولة] [حل الجماعة المسلمة لا يعني ترك الدعوة] وهذه الأخيرة هو مما له صلة بالواقع في قضية حل الجماعات المسلمة بدعاوى مختلفة فيقول:" وتخويف الشيطان الجماعة المسلمة بحلها من قبل أوليائه أولي السلطان إذا استمرت بالدعوة إلى الله... هذا التخويف من الشيطان لا يجيز لها ترك العمل للدعوة إلى الله، بل عليها أن تمضي في طريقها حتى ولو تعرضت إلى الحل، وسحب الصفة القانونية عنها، لأن القيام بالدعوة إلى الله تعالى واجب شرعي على كل مسام ومسلمة[3].

٦– وفي ثنايا تعليقاته على قصة قديمة يستشهد بآيات من القرآن من غير القصة على تأكيد المعنى وتأييده ففي نطاق كلامه على أن جهاد الدعاة هو جهاد بالقول يذكر فقرة تحت عنوان " الجهاد بالقول أيسر من الجهاد بالنفس" يستشهد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ التوبة: ٣٨-٣٩.

[1] انظر **المستفاد**، ١/٢٠-٢١.
[2] **المستفاد**، ١/٢٦.
[3] **المستفاد**، ١/٦٥

٧- استنباط مصطلحات من آيات قرآنية، فيذكر من ثمرات التقوى "الفرقان" أخذا من قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الأنفال: ٢٩، فيقول: وقد فسر (الفرقان) الذي يجعله الله للمتقين بـ(المخرج) في الدنيا والآخرة وبـ(النجاة) من الشدائد، وبـ(النصر) ثم يذكر قول ابن كثير بأنها تعم ذلك كله، يقول ابن كثير: "فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره، وفقه الله لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته، ومخرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة وتكفير ذنوبه..."[١]. ثم يذكر أهمية الفرقان للدعوة والدعاة وللجماعة المسلمة فيبصّر الداعية بمواطن الخطأ فيتجنبها، ومواطن الصواب فيسلكها..وأهمية الفرقان للجماعة المسلمة أعظم بكثير من أهميتها للداعية الفرد ...[٢].

٨- خلو كتابه من روايات الاسرائيليات، والتي كانت في التفاسير القديمة.

ثالثاً- تحليل وتقويم للمستفاد من القصص بجزئيه للأنبياء وللرسول ﷺ:

يتميز كتاب المستفاد ومنهجه بأمور منها:

١- اتبع الكاتب أسلوباً متميزاً في تقسيم الكتاب ومنهجه، فمؤلفه من بابين في جزأين جعل نصفه أي باب واحد لما جاء في القرآن عن الرسول وما جرى في عصره، وهو تقسيم يتفق ومنهجه الدعوي حيث يتخذ الداعية من الرسول قدوة ومن أحداث عصره ملامح على طريق الهدى يتخذ منها المسلم نموذجاً لما يجب أن يفعله حين يواجه الموقف ذاته، ومن منطلق كونه خاتم الأنبياء وشرعه يحبّ ما قبله، وقد علل هذا التقسيم في مقدمة الجزء الثاني فقال: "وفي هذه الأخبار والقصص دروس وعبر ومواعظ وتعليمات وإرشادات وتطبيق لمعاني القرآن والإسلام يحتاجها الدعاة، لأنها من معاني الدين وأساليبه، ومناهجه في تبليغ الدعوة إلى الله، وليكون للدعاة أسوة في رسول الله".

وعن أهمية قصص الصحابة في القرآن يقول: "وفي القرآن أيضاً إخبارات وقصص عن أصحاب رسول الله ﷺ ، وما قاموا به من جهاد في سبيل الله في صحبة رسول الله ﷺ ، وما ترتب على ذلك من رضا الله عنهم وإخبارنا به في كتابه العزيز، مما جعلهم أهلاً لمكان القدوة الحسنة للدعاة في تبليغ الدعوة إلى الله.

---

[١] ابن كثير، **تفسيره**، ٢/ ٣٠١-٣٠٢.

[٢] **المستفاد**، ١/١٠٠.

وما جاء عن قصة المنافقين يقول: "وفي هذه القصص والإخبارات كشف لأحوال أولئك المنافقين وفضح لسرائرهم وكيدهم وصفاتهم، وبيان لموقفهم من رسول الله وموقف رسول الله ﷺ منهم، وفي هذا البيان والكشف فوائد عظيمة للدعاة من جهة تمكينهم من التعرف على المنافقين المندسين في صفوف جماعة الدعاة من خلال معرفتهم بصفات المنافقين وعلاماتهم التي عرفوا بها في زمن النبي ﷺ لأن المنافقين يشبه بعضهم بعضاً سواء كانوا من القدامى أو من المحدثين، وكذلك يعرف الدعاة كيف يتعاملون مع المنافقين في ضوء ما يعرفون من كيفية تعامل النبي ﷺ مع منافقي زمانه"[1].

٢- ما ذكرناه من منهجه في تقسيم البحث وهيكله يمثل الخط العام له، ولكنه أحياناً يخرج في بعض الفصول عن نمطه في التقسيم، ففي غالب الفصول التي تمثل قصة واحدة نراه يقسم الفصل إلى مبحثين: أولهما شرح موجز للقصة يندرج تحته مطالب، والآخر ما يستفاد منه ويندرج تحته مطالب كذلك، ولكننا نجده في الفصل الثاني: قصة ابني آدم قابيل وهابيل لم يقسم الفصل إلى مباحث ولا مطالب بل وضع نقاطاً جانبية وعناوين للشرح، ثم لما يستفاد منها للدعوة والدعاة في نقاط كذلك، ومثل ذلك في قصة شعيب، وفي الفصل الأول نراه في المبحث الأول يقدم موجز القصة - لم يقسمه إلى مطالب- بل إلى نقاط في عناوين جانبية كثيرة بلغت خمسة عشر، بينما يقسم المبحث الثاني - ما يستفاد للدعوة والدعاة- إلى خمسة مطالب، والمطالب إلى فروع، وأحيانا يقتضي المقام إلى أن يقسم الفصل لأكثر من مبحثين كما في قصة موسى حيث جعلها في ستة مباحث، وقصة موقعة بدر إلى ثمانية مباحث آخرها ما يستفاد منها، وأحد في ستة مباحث كذلك.

٣- التركيز على ما ينبغي أن يتحلى به الداعية من أخلاق وما ينبغي عليه تركه، مثل التحلي بالصبر وهو متمثل في كل قصص الأنبياء، وفي قصة ابني آدم مثلا نجده يركز على موضوع الحسد ففي عنوان تحريم الحسد يستعين بآيات أخرى من غير القصة في التنبيه فيضع عنواناً: الحسد من أخلاق اليهود مذكراً بالآية: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ البقرة:١٠٩، ثم عنوان: مدح الله الأنصار لتخليهم عن الحسد مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ

[1] **المستفاد**، ٢/٧.

إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر:٩، ثم ذكر العنوان المهم للدعوة وهو: لا حسد مع وجود الإخلاص عند الدعاة، مستشهداً بموسى عليه السلام حين طلب من الله أن يرسل معه هارون ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ طه:٢٩-٣٢، ومثلها في سورة القصص ٣٤-٣٥، ليقارن بين نموذجين هما قابيل الحاسد مع موسى الداعية بإخلاص.

٤- العناوين الجانبية أو عناوين المطالب اختارها وكأنها إشارات ونصائح دعوية تجعل القارئ يستمتع بها وتثير في النفس الرغبة في التطبيق والامتثال، بل نجد بعضها حكماً تنطوي على أحكام فقهية، وخصوصاً في كلامه عما يستفاد منها للدعاة، من ذلك مثلاً في قصة شعيب: شعيب ينهى قومه عن المنكرات، النهي عن الفساد في الأرض، التلطف في تبليغ الدعوة وإزالة الشبهة عنها، قليل الحلال خير من كثير الحرام، ..الخ وفيما يستفاد منها نجد من العناوين: موقف الداعية من مفاسد المجتمع، موقف الملأ من الدعوة والدعاة، الإصلاح بقدر الاستطاعة، على الداعي أن يبتعد عن الشبهات.

٥- فقهه لمعوقات الدعوة وخصوصاً الداخلية للصف المؤمن والتنبيه إليها من خلال النصوص، مع التنبيه على عدم اليأس عند الفشل بل فهم حكمه وفوائده، والبحث عن الخلل في الصف المؤمن، والاستفادة من النصوص في توجيه نصائحه إلى الدعاة بضرورة التماسك وعدم إتاحة الفرصة لمن يريد فرقتهم، وتحذيرهم من مكائد أعدائهم من شياطين الإنس والجن، وفي ثنايا تفسيره لقصة آدم وإبليس، وابني آدم وغيرهما استنباطات رائعة تدل على حس مرهف من رجل عاش عشرات السنوات في موكب الدعاة، ونذر حياته من أجلها و لم يزل.

٦- التنبيه على مبادئ ضرورية منها: فهم سنة الله في الخلق والكون والدعوة والدعاة، ومنها سنة الابتلاء التي لابد منها للدعاة للتمييز وتنقية الصف المؤمن، وسنة التدافع، ونصر الله لرسله والمؤمنين، وأهمية الكلمة الطيبة، والدفع بالتي هي أحسن، والتأكيد على أهمية الجهاد وأن الدعوة إلى الله جهاد[1].

٧- لقد أجاد المفسر في ربط النصوص وإسقاطها على الواقع بما يجعل القارئ يحس وكأن الآية نزلت فعلاً لواقعه وللأحداث التي تمر بها الأمة، فيزيده ذلك ثقة بعظمة تلك الرسالة

[1] انظر **المستفاد**، ٦٣/١، ٨٣، ١٠٤.

الخالدة وأنها صالحة لكل زمان ومكان تقدم للفرد والمجتمع الحلول والإرشاد والهداية لما يجب أن يسلكه الفرد والمجتمع في مختلف الظروف ولأنه يجد من سيرة الرسول ﷺ وعمله تطبيق لذلك.

أهمية المنهج الدعوي بين مناهج التفسير عامة والقصص خاصة:

مما تقدم يتضح أهمية المنهج في الأمور الآتية:

١- يبرز هذا المنهج قصة الدعوة إلى الله، واستجابة البشرية لها، وطبيعة الإيمان في نفوس النخبة المصطفاة من البشر، وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين من اصطفاهم، وبيان الغاية من الدعوة وهو التوحيد، مع تقرير أن الرابطة الحقيقية هي رابطة العقيدة، استدلالاً بقصة إبراهيم ونوح.

٢ - يوضح المنهج معوقات الدعوة من المكذبين والكفار والمنافقين وما يقاس عليها في الوقت الحاضر، وكذلك المعوقات الداخلية للصف المؤمن وما يثبط من الدعوة كما في حال المخلفين عن الجهاد.

٣- فهم سنن الله في الخلق والكون، ومنها سنة الأقوام في تكذيب الرسل، وسنة الابتلاء للدعاة، وسنة التدافع التي تثمر عدم اليأس عند الفشل وفهم حكمها وفوائدها، والبحث عن الخلل في الصف المؤمن.

٤- يؤكد المنهج على مبادئ منها: الدعوة إلى الله جهاد، وأهمية الأخذ بالأسباب كصنع نوح للسفينة بنفسه، وأهمية الصبر لأنه من أهم دعائم الدعوة، وأهمية الكلمة الطيبة والدفع بالتي هي أحسن، ويقرر تنوع أسلوب الدعوة بالحوار واللين والتلطف مع المدعوين، ومراعاة آداب الدعوة بدعوة الأقربين وخفض الجناح لهم، ومقابلة الإساءة بالإحسان.

٥- يضع المنهج معالم واضحة أمام الدعاة باقتدائهم بالرسل لأنهم ساروا على المنهج الرباني المرسوم لهم، ويضع أهدافاً عدة في الاعتبار والتعرف على مناهج الأنبياء في الدعوة والتزامهم بها كما قال تعالى مخاطبا نبيه: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ الأنعام: ٩٠، والتعرف على نماذج المؤمنين الصابرين التائبين.

٦- التعرف على طرق المواجهة بين الحق والباطل، والاستعانة عليها بالدعاء، فقد كان من دعاء موسى عندما ذهب لدعوة فرعون ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ طه: ٢٤-٢٥.

٧- يساعد المنهج على الربط بالواقع، والالتفات إلى الأبعاد الواقعية لتلك القصص، لوجود بعض لقطاتها ومشاهدها ونماذجها في الواقع المعاش، فيساعد على أخذ العبر والدروس منها[١].

٨- يوضح المنهج أهمية معرفة الداعية لطبيعة ما جبلت عليه النفس البشرية من غرائز وميول ورغبات، في تحديد أسلوب الدعوة وكيفية معالجة أحوال الناس المدعوين.

٩- يقرر المنهج فاعلية تأثير استعمال الآيات الواردة في القصص والمتضمنة للإعجاز العلمي كطريقة عصرية أثبتت وجودها باستقطاب الآخرين للإسلام، وزيادة الإيمان للمسلم.

[١] راجع الخالدي صلاح، **مع قصص السابقين في القرآن**، ص٣.

المصـــــــادر

١. أحمد فريد، ١٩٩٠م، **تيسير المنان في قصص القرآن**، السعودية: دار ابن الجوزي.

٢. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ١٩٨٩م، **مع قصص السابقين في القرآن**، دمشق: دار القلم.

٣. الديلمي، عبد الوهاب بن لطف، ١٩٨٦م، **معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم**، السعودية- جدة: دار المجتمع.

٤. فضل حسن عباس، **القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته**.

٥. عبد الكريم زيدان، ٢٠٠٠م، **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٦. مصطفى مسلم، ٢٠٠٥م، **مباحث في التفسير الموضوعي**، دمشق: دار القلم.

٧. منى عبد الله حسن داوود، ١٩٩٨م، **منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني**، السعودية: دار ابن حزم.